بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الدّولي الثَّاني للغة العربية ومواكبة العصر

التَّحدِّيات وسُبل المواجهة والرؤية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/السعودية 1435هـ

بحث بعنوان:

تغييب اللغة العربية الفصحى عن ساحة الثَّقافة والفكر والإعلام

جامعة الباحث: أ.د. محمد حافظ الشريدة / أستاذ الشريعة الإسلامية في الوطنية / نابلس– فلسطين. النجاح

Abstract

This includes research to clarify the impact of globalization on the Arabic language, and displays the Assab absence of Arabic eloquence on the battlefield of the media, culture and the effects of that, and then talk about real life examples of the absence of language eloquence about arenas of thought and culture, and then shows the proposed solutions to strengthen the role of the Arabic language fluent in thought, culture and information.

الملخص

يتضمن هذا البحث توضيح أثر العولمة على اللغة العربية، ويعرض أساب تغييب اللغة العربية الفصحى عن ساحات الإعلام والثقافة وآثار ذلك، ثم يتكلم عن أمثلة واقعية لتغييب اللغة الفصحى عن ساحات الفكر والثقافة، ثم يبين الحلول المقترحة لتعزيز دور اللغة العربية الفصيحة في الفكر والثقافة والإعلام.

المقدمة:

الحمد لله وحده, والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده, ورضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يلاحظ القارئ للبحوث والدراسات التي تناولت ضعف الأداء اللغوي لدى الناطقين باللغة العربية ظاهرة غريبة في مختلف الأقطار العربية باتت العربية تجأر بالشكوى منها وتدعو إلى سرعة التدخل لإنقاذها منها ألا وهي هجر أبنائها لها؛ الأمر الذي يولّد صعوبة ومشكلات في إدراك مراميها, والإلمام بمهاراتها مما يهدد التنمية البشرية في عصر لا يقوم إلا عليها, وما ينعكس على المجتمع تفاعلا , وتواصلا, وكفاءة إنتاجية, وقوة تأثير, وقوة مناعة, ومقدرة على التنافس في عصر امتدت فيه طموحات الأقوياء إلى الكوكبية أو العولمة .

إن ثروة المعرفة الإنسانية كلها تقوم على تبادل الفكر والثقافة, واللغة هي حامل الموروث الثقافي ووعاؤه, وهي الرابط الذي يشكل الجماعات والمجتمعات, وهي الإبداع الإنساني الفريد الذي حقق التواصل وكان أداة التفكير ووسيطه.

والرابطة لا تنفصم بين اللغة والوعي، من هنا كانت خطورة ضعف اللغة وتهميشها, ومن هنا كانت أهميتها في مواجهة تحديات العولمة وفي القدرة على التنافس.

ولما كان غياب اللغة الفصيحة من أخطر القضايا المعاصرة تأثيرا على: اللغة العربية، وثقافة المجتمعات العربية، والإعلام، كان هذا البحث ليبين بعض جوانب هذا الموضوع.

وقد أحسنت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة صنعا بعقد مؤتمرها الثاني للدفاع عن اللغة العربية لغة القران الكريم والسنة النبوية المطهرة, وقد جذبني الحديث في أحد مواضيع المحور الثاني من محاور هذا المؤتمر العلمي الدولي :(تحدَّيات التصدي للازدواجيَّة والثُّنائية اللُّغويَّة).

فكان هذا البحث حول تغييب اللغة العربية الفصيحة عن ساحة الثقافة والفكر والإعلام, واشتمل على مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الفصحى **والعولمة الثقافية, وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: العولمة الثقافية والغزو الفكري للغة العربية.

المبحث الثاني : أسباب تغييب اللغة العربية الفصيحة عن ساحات الثقافة والفكر و الإعلام.

المبحث الثالث: آثار تغييب الفصيحة عن الثقافة والفكر و الإعلام ونتائجه.

الفصل الثاني: أمثلة من الواقع المعيش حول إهمال اللغة العربية والتصدي لذلك, وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نماذج وشواهد من تغييب اللغة العربية الفصحى عن ساحة الثقافة والإعلام

المبحث الثاني: نماذج وشواهد من تغييب اللغة العربية الفصحى عن ساحة الفكر

الفصل الثالث: الحلول المقترحة لتعزيز دور اللغة العربية الفصحى **في الثقافة والفكر والإعلام: وفيه ثلاثة مباحث**

المبحث الأول: سبل علاج تغييب اللغة العربية في الثقافة والفكر والإعلام.

المبحث الثاني: فهم الهدف من محاربة العربية.

المبحث الثالث: مواجهة التحديات التي تواجه اللغة العربية الفصحى.

الخاتمة: ذكرت فيها خلاصة البحث, والنتائج التي توصلت إليها, والاقتراحات والتوصيات.

الفصل الأول: الفصحى والعولمة الثقافية, وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العولمة الثقافية والغزو الفكري للغة العربية.

المطلب الأول: تعريف العولمة لغة واصطلاحا:

العولمة لغة:-

العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة، وكلمة "العولمة" نسبة إلى العَالم –بفتح العين– أي الكون، وليس إلى العِلم –بكسر العين– والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العِلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي منقول، أمّا (عولمة) فرباعي مخترع إن صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم، وأصبحت الكلمة دارجة على ألسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي.

ويرى الدكتور أحمد صدقي الدجاني أنّ العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أنّ العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم.

وننّبه إلى أن ّمجمع اللغة العربية بالقاهرة قرّر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً.(1)

ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني: تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله. (2).

العولمة اصطلاحاً:

يرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية إضافةً إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية المعاصرة.

لقد ظهرت العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد، ثمّ أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاً أو حالة ذات أبعاد متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات، والاتصال، والسياسة، والفكر، والتربية والاجتماع، والأيدولوجيا.(3).

ولقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة، نذكر هنا بعضاً منها، ثمَّ اذكر التعريف الذي أرى أنّه يعبر عن المعنى الحقيقي لظاهرة العولمة.

ومن هذه التعريفات:-

1- يقول الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي عن العولمة: "نظام يُمكّن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق".(4).

2- العولمة هي: "العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة".(5).

3-"هي تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي". أو هي: "محاولة لفرض الفلسفة البرجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع".(6).

وبعد دراسة متأنية لظاهرة العولمة وأهدافها ووسائلها وتأثيراتها في واقع المجتمعات والشعوب يمكن أن تعرَّف العولمة بما يلي:-

"العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث، وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد".

ومن الخلط بمكان، بل من المغالطات الشائعة أن تُنسَب العولمة إلى العلم والتقدم التكنولوجي؛ لأنّ العولمة ارتبط اسمُها بالعلم فقط للتزيين، وارتبطت مفاهيمُها بالتقدم التكنولوجي للتلبيس، مع أنها تتوحش في الممارسة مع الشعوب الضعيفة، فما بالكم مع لغةٍ غابَ أُسُّها وأساسُها وذابت بين اللغات العالمية كذوبان الملح في الماء.

فالعولمة إذن لا تأتي بخيرٍ علينا على المستويات كافةً: السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية؛ وحتى على مستوى المصطلحات، فهي إنْ صحّ التعبير يُمكن أنْ تُلَخَّصَ في عبارةٍ واحدة هي **(العولمة: تلبيسٌ في المفهوم وتوحّش في الممارسة)**، وهذا ما رمى إليه بحثُنا هذا في موضوع الهجوم على اللغة العربية من قِبل أعدائها.

المطلب الثاني: العولمة ودورها في أزمة اللغة العربية:

لاشك أن التغيرات والظروف التي اجتاحت البشرية في العقود الأخيرة من القرن الماضي طالت وأصابت سهامها كل مناحي الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو لغوية أو حضارية، مما أدى إلى دفع الإنسانية إلى الدخول في مرحله جديدة من مراحل تاريخها وهو ما أطلق عليه مرحله (العولمة) أي كان لها دور كبير في إخراج كثير من القضايا من أفقها المحلي الضيق إلى إطار أوسع وعالم رحب فسيح لتكون **متاحة أمام العالم أجمع من دون قيود أوحوا جز أو موانع تعيق مسيرتها وتحولاتها.**

ولاشك أيضا أن العولمة بتجلياتها المختلفة فرضت على المجتمعات الانفتاح والتلاقي متناسيه خصوصيات الشعوب الثقافية والحضارية والدينية والاجتماعية. مما أحدث سجالا عميقا بين الأفراد سواء على مستوى النخب أو على مستوى العامة – ما بين رافض وبشدة للعولمة باعتبارها طمس لهويه وخصوصية الأمم والشعوب وتذويب لقيمها ومبادئها على حساب نشر قيم غريبة عنها، وصبغ العالم بصبغه واحدة لا ثاني لها هي الصبغة الغربية، وما بين مقبل على العولمة بنهم وشغف دون أدنى تحفظ على كل أو جزء من تجلياتها ،فأحدث ذلك سجلات كثيرة على المستويات كافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ما زالت أحداثها تدور إلى هذه الساعة. (7).

يصعب علينا القول أن منطقتنا العربية والإسلامية بعيدة عن العولمة وتجلياتها وذلك لأنها – العولمة– أصبحت واقعا مفروضا لا يستطيع أحد التعامي عنه أو التغاضي عنه والانكفاء على ذاته لان ذلك سيلحق به –وبلا شك – أقصي الضرر لان قافلة الحضارة الإنسانية تسير بسرعة فائقة ويكفي أن نعلم أن التطورات التقنية التي حدثت في العالم في العقد الأخير من القرن الماضي تعادل ما حققته

البشرية على مدى قرن كامل –بل أكثر من ذلك – لذا فان التقوقع على الذات صعب وشاق في ظل هذه الظروف، إن ما يهمنا في هذا كله هو –وفي هذا المقام – هو أثر العولمة على اللغة العربية، وما هو دور تطورات العولمة وتطور وسائل تكنولوجيا المعلومات ونظم الاتصال والمواصلات في تشكيلها التحدي الأكبر للغة العربية (8).

إن مما لا شك فيه أن العولمة بمفهومها الواسع، أدت إلى تأثر كثير من أبناء العربية بمظاهر العولمة، وولعهم بتقليد الغربي في كل شيء بل حتى في لغته، مما كان له اكبر الأثر على ضعف العربية، وهجر أبنائها لها، بل واستصعابهم لها، وتفضيلهم النطق بالعامية على الفصيحة، مما يقتضي وقفة جادة لمعالجة هذه القضية المهمة.

المبحث الثاني : أسباب تغييب اللغة العربية الفصحى عن ساحات الثقافة والفكر و الإعلام.

تواجه العربية جملة من التحديات التي تعاني من أجلها نوعاً من العزلة عن الحياة اللغوية.

وأول هذه التحديات عزلة اللغة عن الاستعمال العام، حيث حلت اللهجات العامية محلها وأخذت مكانها في ألسنة الناطقين العرب ونتج عن ذلك نشوء مجموعة اللهجات المحلية التي تختلف من بلد لآخر داخل القطر الواحد، فإذا كان عدد البلاد العربية اثنتين وعشرين دولة هي مجموع الأعضاء في جامعة الدول العربية، فإن لدينا اثنتين وعشرين لهجة عامة، تتفرع عنها لهجات بلدية تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الخواص الصوتية، **والمجامع العربية في المنطقة العربية لم تستطِع أن توحد بين تلك اللهجات ولو في قراراتها النهائية؛ لأنّها مرتبطة بالقرار السياسي لكل بلد، وهذه معضلة أخرى تواجهها اللغةُ العربيةُ..**

ويجد ربنا الإشارة إلي أنه قد يكون لمواطني البلدان العربية خواصهم اللهجية التي لا تجري على غير ألسنتهم؛ وأخطر من ذلك تأثيراً استخدام أساتذة الجامعات في الكليات التي تهتم بتعليم اللغة العربية للعامية (اللهجات المحلية)، وليس ذلك من باب المبالغة أو التجني، فنحن لا ننكر وجود أساتذة يحترمون اللغة الفصحى، ويلتزمون بأدائها في محاضراتهم. وفي

مقابل هؤلاء نجد بعض من يدرسون مادة (النحو العربي) ويستخدمون اللهجات العامية في مخاطبة الطلاب بقواعد النحو وسائر علوم العربية (9).

فإذا كانت هذه هي الحال في كليات الآداب، وبخاصة في علوم العربية، فإن الحال أسوأ في سائر الكليات التي تتخصص في الفنون والعلوم المختلفة، بحيث لا يسمح للعربية أن تدلف إلى قاعات المحاضرات والبحوث. وربما جاز لنا أن

ولقد أدرك أعداء الإسلام أن حربهم ضده يجب أن تعتمد على محاربة اللغة العربية، وإحياء اللغات القومية، سعياً إلى تقليص وجود القرآن، وتهميش عقيدته.

ولقد تحقق لهؤلاء الأعداء ما خططوا له، إبان العهد الاستعماري، والمرحلة الشيوعية، فارتدت أغلبية الشعوب الإسلامية إلى أحلامها القومية، وانتشرت فيها لغات المستعمرين، كالإنجليزية والروسية وتوارت العربية وضعف شأنها تبعاً لضعف شأن العرب في أقطارهم.

بل إن العرب أنفسهم قد تخلوا عن لغتهم، وعزلوها عن موضوعات الحضارة، واستخدموا بدلاً منها لغة المستعمر كالإنجليزية والفرنسية، ولاسيما في المجالات العلمية كالطب والهندسة والعلوم والرياضيات.

بل لقد اغتربت العربية في أوطانها، حتى صار التعليم العام، من أول مراحله يستخدم الإنجليزية، وصار التعليم بالعربية مقتصراً على بعض البيئات المتواضعة مادياً؛ومعنى ذلك أن البلاد العربية تزداد تخلفاً من الناحية المادية، فليس لها دور في إنتاج شيء جديد، ولا دور للعربية في تسمية منتج جديد. وهكذا آل أمرها إلى الفقر الشديد.

ومما سبق يتضح لنا أن أسباب تغييب اللغة العربية في الدول العربية عن ساحة الفكر والثقافة والإعلام ترجع للأسباب التالية:

1- زحف اللغات الأجنبية في مناهجنا الدراسية وفي وسائل الإعلام ولافتات الشوارع.

2- تدريس اللغات الأجنبية في المرحل الدراسية الأولي من حياة الطفل العربي.

3- الفجوة بين السياسة العامة للتعليم في العالم العربي، وما يحدث في المدارس.

4- عدم تقييم الكتب الدراسية والانصراف عن أهداف تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات.

5- طريقة تدريس اللغة العربية في المدارس والأوضاع السيئة لمعلمي اللغة العربية.

6- تَحُّدثُ معلمي اللغة العربية باللغة العامية داخل حجرات الدراسة.

7- تعدد الجهات التي يتخرج منها مدرسو اللغة العربية.

8- عزل اللغة العربية عن الاستعمال العام.

15- إحلال اللهجات العامية محل اللغة العربية وسيادة اللغة الفصح عامية محل اللغة العربية.

10-سيادة اللغة العامية في مجالات الخطب الجماهيرية كما في مجالس النواب ومجلس الشعب.

11- الخلط بين مفهوميْ التعريب والترجمة، مما أدّى إلى دخول الكثير من المصطلحات إلى باقة اللغة غير المحصنة في بلادنا على أنها من اللغة العربية وهي تبعد عن أوزانها بعد السماء والأرض، مثل كلمات تلفزيون، وتلفون، وفيلم، وهذه ليست من أوزان العربية في شيء.

12- جهل أبناء العربية لقواعدها على مستوى الأفراد والجماعات حتى المتخصصين منهم على المستوى التعليمي مما أدى إلى غيابها حتى في صروح العلم، والمناقشات والإعلام وغير ذلك من نشاطات الحياة.

13- عقم المناهج الدراسية في التربية والتعليم، فيتخرج الطلبة من الثانوية العامة لا يدرون ما الإعراب ولا يفرقون بين المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي إلا في السنوات الأولى من الدراسة الجامعية.

فمثلاً: يُعطى الطالبُ قاعدةً مفادُها: "يُحذفُ الخبرُ وجوباً إذا أغنتْ عن الخبرِ حالٌ، هذه الحالُ لا تَصلحُ أنْ تكونَ خبراً للمبتدأ ، والمبتدأ مصدر مضاف، أو اسمُ تفضيلٍ مضافٌ لمصدرٍ مؤول".

فهذه القاعدة لا تصلح للتدريس، بل تؤدي إلى عقم الطالب في الناحية الإعرابية، وقِس ذلك على مناحي الحياة التي غرقت في الماديات وأبعدت عن ربط القواعد النحوية بالواقع.

وهذا مثلٌ من واقع مناهجنا العقيمة التي عمّرت عشرات السنين في المدارس والتي خرّجت أجيالاً لا ينتمون إلى لغتهم؛ بل يكرهونها كما نسمعُ منهم. فما السببُ؟؟!!.

14- الأمرُ الخطيرُ من بين هذه الأسباب هو عدم ربط القواعد النحوية واللغة والعربية بالواقع العملي والأحكام الشرعية، وهذا لا يحتاجُ إلى توضيح، فاللغة العربية لا تُعطى جامدةً، بل تُعطى في قوالبَ عمليةٍ للإفادة منها أولاً في فهم الأحكام الشرعية، وثانياً في الواقع العملي الذي يُدَرّس في المدارس.

15- كلّ ذلك بسبب غياب الحامي للغة، وهي دولتُها؛ لأنَّ وزنَ اللغةِ من وزنِ دولتِها، فما بالكم إذا تفرقت اللغة نيّفاً وخمسين شعبةً كلٌّ واحدةٍ منها تتبع لقرار مجمعها اللغوي المربوط بالقرار السياسي الدائم على مستوى التعليم والخدمات والإعلانات.

وأقولُ في ختام هذه الأسباب رحم الله اللغةَ التي كانت صرحاً من الهوى فهوى، ما لم تعد لها عزّتها وحماتُها وواقعها في كلّ مناحي الحياة.

المبحث الثالث: آثار تغييب الفصحى عن الثقافة والفكر و الإعلام ونتائجه.

إنَّ التعليم أصبح حلبة الصراع بين الدول المتقدمة لتحقيق التفوق، لكنَّ أزمة التعليم التي يُعانيها العالم العربي في ظل ثورة المعلومات التي تجتاح العالم تفرض التحرك بسرعة وفعالية للحاق بركب هذه الثورة، ومَن يفقد مكانته في هذا السباق العلمي والتكنولوجي فمن المؤكد أنه سيفقد إرادته في أقرب فرصة؛ وهنا أؤكد أن اللغة العربية هي رمز الهوية والاستقلال في عالم تتزايد فيه الضغوط ومحاولات طمس الثقافة الوطنية للعالمين العربي والإسلامي، واللغة العربية هي التي ترتبط بالتاريخ العربي والإسلامي، ولن يتحقق للعالم العربي نهضة تعليمية شاملة دون الاعتزاز بلغتنا القومية؛كما انه أنه ليست هناك دولة حققت سيادة واستقلالاً وإرادة دون لغتها القومية.(10)

ولا شك أن من أخطر آثار تغييب الفصيحة عن الثقافة والفكر هو صعوبة فهم القرآن والسنة إذ هما مرجع العربية الفصيحة ومصدرها، ومن هنا برزت أهمية فهم اللغة وفق أصولها وقواعدها الأساسية.

الفصل الثاني: أمثلة من الواقع حول إهمال اللغة العربية والتصدي لذلك, وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نماذج وشواهد من تغييب اللغة العربية الفصيحة عن ساحة الثقافة والإعلام

تعتبر مسألة الغزو الثقافي والإعلامي من أولى المسائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديدا، فقد وعت الدول الغربية العظمى إلى خطر يهدد قوتها واستمرار سيطرتها على العالم، وهذا ما لا يروق لها بل ويقض مضاجعها فبدأت بوضع وتكريس كافة إمكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد وتنبهت للطرق الأسهل والأسرع فتوجهت للفكر العربي ولغته من خلال إعلام صنعته لغرض تغريب هذا الفكر وجعله أسيرا لما يراه ويشاهده.

فمما لا شك فيه أن الإعلام بكل أنواعه وتقنياته قد أحرز نجاحاً باهراً في جميع المجالات، وهو من أقوى وسائل الإقناع الذاتي في اتباع الأسلوب الهادئ والرزين دون اللجوء إلى العنف؛ لكنه في الوقت نفسه أنفذُ إلى القلوب من السهام وأشد وقعاً على النفوس، إذ له ظاهر أنيق ومنظر جذاب وهيكل أخاذ إضافة إلى مجموعات الإثارة الكاملة والمواد الغزيرة والمعلومات المتدفقة إلى ما لا نهاية، من التصوير والإضاءة وما شابه؛ فلا بد من تأثيره الفعال ونفاذه إلى الأعماق بصورة سريعة ومباشرة (11).

والغرب من حيث طول الباع لديه في هذا المجال واهتمامه التام في تطويره قد قطع شوطاً مهماً في سبيل ذلك.

إنه قوة هائلة لا قبل لنا بها كاسحة في التأثير تغطي القارات الخمس بلا منازع لتزرع في أذهان الشعوب ما تشاء من الصور، لا تبالي في ما تتناوله من أحداث العالم بالعرض والتحليل إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في إيصال ما تريد وترغب.

وقد لعبت ثورة الاتصالات دورا كبيرا في نجاح هذا الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السلاح، فبعد أن كان توزيع الصحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصدر به جاءت وسائل الاتصال الحديثة من أقمار صناعية و(إنترنت) لتلغي حدود الدول وتوصل المعلومة للقارئ أينما كان، فشعوب العالم لا تعرف في معظم الأحوال عن الإسلام وقضاياه إلا من خلال ما تتلقاه من الإعلام الغربي مع كثير من التحريف والتضليل والإساءة، وحذرت دراسة علمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسائل الإعلام العربية، وبالذات البرامج الواقعيّة المعربة من البرامج العالمية، وأظهرت الدراسة (الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليليّة لبرامج الفضائيات العربية) التي أعدها ياسر خضر البياني". (12).

أظهرت أن وسائل الإعلام العربية شاركت في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، للثقافة واللغة العربية من خلال ما تعرضه من البرامج الغربية، وبالأخص ما يسمى ببرامج (تلفزيون الواقع)، من دون أن تضع تلك الفضائيات بالحسبان لغة المجتمع العربي الفصيحة وقيمه وتقاليده وأنماطه الاجتماعية، فمنذ متى تعرض الفضائيات العربية برنامج تقوم فكرته على عرض فتيات للزواج ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم وهذا ما تقوم عليه فكرة برنامج (على الهوا سوا)الذي بثته إحدى القنوات الفضائية ولاحظت الدراسة من خلال الإحصائيات العلمية الجديدة، بأن برامج القنوات الفضائية العربية تقتصر على المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، القلق، وإثارة الغريزة، والفردية، والعدوانية، ودافعيّة الانحراف، وكلها مفردات تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من

مجرد صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي(13).

ووجدت الدراسة أن القنوات الفضائية العربية، وبالذات الخاصة، بدأت تتسابق علي إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب، واجتذابها لهم بأي صورة من خلال المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصة في إشاعة النماذج الغربية من البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الفضائية الأجنبية فمثلا أصبحنا نرى على الفضائيات الأغنية المصورة أو ما يسمى (بالفيديو كليب) وما يرافقها من مشاهد خلاعة تجعلنا ننسى أننا نتابع أغنية ذات مضمون ومعنى، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحنا نلمس في مجتمعاتنا العربية التقليد الأعمى لهذا المضمون الهابط، فمثلا أصبحت الفتاة تقوم بحركات المغنية الفلانية أو تختار ملابس شبيهة بملابس الفنانة الفلانية، وكأنهن اتخذن تلك الفنانات قدوة لهن في كل شيء وأشارت الدراسة إلى ضرورة الانتباه إلى هذه الظاهرة على أنها قد تحمل توجهات سياسية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع العربي وثقافة المجتمع وقيمه.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات أبرزها ضرورة الاعتراف بان انفجار المعلومات والمنجزات التقنية في زمن العولمة لا يلغي الحقيقة بأن الثورة الحضارية ينبغي استيعابها وتقبلها بوعي حضاري واستيعاب ذكي، بما يجعلنا قادرين على الاستفادة منها، بمعنى اقتناء المفيد من المعلومات والبرامج وأخذ ما يتناسب مع واقعنا العربي وأهمية تعميق وعي الشباب العربي وثقافته وممارسته للديمقراطية وتعويده على التعامل الحضاري مع المعلومة بإيجابياتها وسلبياتها، إضافة إلى أهمية وضع خطة إعلامية من قبل الدول العربية تأخذ مسارين:

ونلاحظ في بعض الدول العربية مسألة شيوع اللهجة العامية (14) في بعض القنوات الفضائية والإذاعات منها إذاعة الجنوب اللبنانية التي تلقي معظم برامجها باللهجة العامية و

لكن بالحقيقة ماهي إلا محاولة من إسرائيل التي كانت تسيطر على هذه الإذاعة لتشويه اللغة العربية وإفراغها من محتواها وشيوع العامية وقد وجدت إسرائيل ضالتها في تحقيق ذلك من خلال بعض المفكرين والشعراء اللبنانيين أمثال الشاعر(سعيد عقل) الذي دعا إلى التخلص من قيود الفصحى ونشر العامية على أساس أنها لهجة قريبة من المتلقي وأسهل للفهم، إلا أنه أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة فالمشاهد أو المستمع الذي يفهم لهجة بلده مثلا ليس بالضرورة يستطيع فهم اللهجات الأخرى وبالتالي تكون الفصحى أكثر فهما لجميع الأقطار العربية .

وهنا أود أن أضيفَ بعضَ الصور من كيد الأعداء للغة العربية وأبنائها:

1- حرصوا على نشر اللغات الأجنبية في ديار الإسلام عبر العمال الوافدين، والمطبوعات الأجنبية، والمدارس الغربية.
2- جعلوا كثيرا من العلوم والمعارف بلغاتهم كالطب والهندسة والعلوم.
3- عملوا على ترويج العامية بين أفراد المجتمع بصورٍ مختلفة: مثل الشعر النبطي، والإعلانات التجارية، والرسوم والمقالات الهزلية، والأحاديث الإذاعية.
4- سخروا من الفصحى وأهلها في كثير من برامجهم الهزلية والترفيهية.
5- نشروا بين طلاب المراحل المدرسية والجامعية أن لا داعيَ للإعراب، بل يُكتفى بالوقف على السكون، وأقنعوا بعض القائمين على المناهج أن لا داعيَ لمقرر النحو العربي، والهدف واضح، هو صد الجيل عن لغة القرآن والسنة وتراث السلف الصالح.
6- جعل القواعد النحوية معقّدة غيرَ يسيرةٍ على الطلبة بحيث جعلوا الطلبة يهربون منها في التعليم العام والتخصصات، فتجدُ –مثلاً– قسم اللغة العربية فارغاً، بينما قسمَ الفنونِ مكتظاً.

وقد نسيَ هؤلاء أو تناسَوا أو لا يريدون معرفة قولَ أبي علي الجيّاني:

(خُصَّت هذهِ الأمةُ بثلاثٍ: الإسنادِ، والأنسابِ، والإعرابِ).

ومن مظاهر غربة اللغة وعدم الاهتمام بها بالصورة المطلوبة ما نراه ونشاهده من أخطاء جسيمة ومخالفات لغوية ونحوية واضحة في اللافتات واللوحات المعلقة على جنبات المحال التجارية، وكذلك المسميات الدخيلة على لغتنا وكثيراً ما تزاحم اللغة الأجنبية لغتنا الأصيلة، فتُكتب مثلاً بخطٍ عريض، مختلف عن خطوط البلاد المألوفة.

ومن مظاهر الغربة كذلك الاحتفاء بالأشعاء العامية والآداب الشعبية، فترى الصحف تتزاحم في خدمة هذا النوع من الأدب ونشره، والتشجيع عليه، وتفرد له الصفحات، وتخصص له الملاحق، وهذا بقلا شك دليل على ضعف المستوى التذوقي عند بعض أفراد الأمة، ومهذا التشجيع للشعر الشعبي والعامي، صرفٌ لأذهان الناشئة عن نظم الشعر العمودي العربي الأصيل.

المبحث الثاني: نماذج وشواهد من تغييب اللغة العربية الفصحى عن ساحة الفكر

لا يحتاج الباحث لكبير جهد ليبين الشواهد التي تدل على تغييب اللغة الفصحى عن ساحة الفكر، فعلى سبيل المثال: نرى أن معظم كتب اللغة العربية المعاصرة تجتر الكتب القديمة، ولا تعرضها بأسلوب فكري يناسب لغة العصر، ناهيك عن قلة الكتب الفكرية عن اللغة ودورها في حصانة الأمة وهويتها ووحدتها(15)

وإذا انتقلنا للجهات الرسمية، سنرى غيابا كبيرا لها في المجال الفكري للغة العربية فالمؤتمرات حول هذا الموضوع شكلية وغير عملية.

وأما المشكلة الكبرى فهي الكليات التي تدرس اللغة العربية في العالم الإسلامي، فهي منعكفة على نفسها ولا تواكب العصر الذي هي فه ولا تستثمر التكنولوجيا في غرس فكر اللغة العربية.

إن هذه الأمور الفكرية وغيابها عن لغتنا العربية الفصيحة تدق ناقوس الخطر عند كل غيور على العربية أن يشمر عن ساعد الجد والفكر لتعود لغتنا وامتنا لمكانتها التي تستحقها بين الأمم.

ولغة التخاطب بين الأمم يجب أن تكون اللغة العربية، لأنّها لغة القرآن العظيم، وهذه هي رسالة البشر، فلا وجود لفكرنا وعقيدتنا دونَ أن تكون اللغة هي الحاضر الأوسع في نشاطاتنا الفكرية، ناهيك عن دور اللغة العظيم في فهم النصوص الشرعية والنصوص الواقعية، فقد تحدث أحدُهم قائلاً ساخراً: (الناس صعدوا إلى القمر وأنتم تتحدثون عن خبر كان واسم إنّ المؤخر وتقدير الخبر المحذوف والبحث عن العامل المفقود؟؟!!).

نقول لهؤلاء كلامكُم صحيح إذْ أنتم غرباءُ عن فكر الأمة وواقعها الذي يحتاج إلى تصحيح مسار. فخبر إنّ واسم كان لا يفيدان شيئاً في أبحاث الصعود على القمر، ولكن ألا تدرون أن يهود استطاعوا نزع ثلثيْ فلسطين عن طريق تحريف الترجمة الإنجليزية بإسقاط ياء الاسم المنقوص (أراضٍ) بدلاً من أراضي.

فالقضية ليست في أبحاث اللغة أكبر منها من تغييب دور اللغة في الفكر، الذي بدوره يوصلُ إلى البحث العلمي المنشود ذي الأسس المتينة الذي ترقى بسبيلها الأمم وترتفع من شاهق إلى شاهق.

وبحجة طول الإعراب مال الكثيرُ إلى إقصائه عن ساحة الفكر بحجة عدم نفعيته في الأبحاث الفكرية والفقهية. ونحن نقول لهم: علم الفقه طويل الأبواب ومتعدد الخلافات، هل نحذفه من قائمة علمنا؟

وعلم الرياضيات مليءٌ باتلنظريات والقوانين والمسائل، فلمَ لا تُترك؟ وأضف إلى ذلك أنّ كلّ اللغات العالمية فيها من القواعد المعقدة غير الميسرة على أذهان الدارسين، فلمَ لا يدعون لحذفها؟

الجواب معروف، هو أنَّ اللغةَ العربيةَ مستهدفةٌ من قبل الأعداء الغاشمين والحاقدين على اللغة العربية التي تمثل مفاتيحَ لتعاليم الإسلام وفهم غاية الحياة التي أرادها الله لنا على وجه هذه المعمورة.

وهاهو أحد الغربيين يقول: "متى توارى القرآنُ ومدينة مكة من بلاد العرب، يمكننا حينئذٍ أن نرى العربيَّ يتدرج في سبيل الحضارةالتي لمْ يبعدْه عنها إلا محمدٌ وكتابُه، ولا يمكن للقرآن أن يتوارى حتى تتوارى لغتُه".

الفصل الثالث:

الحلول المقترحة لتعزيز دور اللغة العربية الفصحى في الثقافة والفكر والإعلام

المبحث الأول: سبل علاج تغييب اللغة العربية في الثقافة والفكر والإعلام

1- إن أولى خطوات العلاج في سبيل تأصيل هويتنا الأخرى, هو تمسك الإدارات المحلية والبلدية بعدم إعطاء ترخيص للمحلات إلا إذا كان اسمها عربياً خالصاً له معنى في اللغة العربية, ولنا في التجربة الفرنسية أسوة في هذا الموضوع, فقد تشددت فرنسا في عدم استخدام لغات أخرى غير اللغة الفرنسية في جميع المجالات, بل وصل الأمة إلى حد محاولة استخدام اللغة الفرنسية في تطبيقات الحاسب الآلي, حفاظاً على الهوية الفرنسية من الضياع أو الاندماج في الثقافة الأمريكية, فيمكن استخدام الأسماء العربية في جميع ميادين الحياة, فتطلق هذه الأسماء على أسماء الشوارع والميادين والمدارس, بل وأسماء الصفوف الدراسية في هذه المدارس فبدلاً من القول صف ثالثة أول ,أو صف ثالثة ثاني مثلاً, يمكن أن يكون اسم الصف خالد بن الوليد, أو صف الشجاعة أو صف " القدس" ...الخ.(16)

2- وضع خطة للمبعوثين للدراسة بالخارج في دول أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة وغيرها, بحيث يكون لكل وفد رئيس من الواعظين ممن يستطيع أن يدحر الشبهات التي تلقى في وجه شبابنا في أثناء تلقيهم العلوم بالخارج, كما يجب أن يكون من بين شروط الابتعاث للخارج حفظ قدر معين من القرآن, وليكن خمسة أجزاء على الأقل, كما يفضل تنظيم دورة سريعة لمدة ستة أشهر على الأقل لجميع الأفراد الذين وقع عليهم الاختيار للسفر للدراسة بالخارج يتم فيها دراسة علوم الدين والشريعة وبلغة البلد التي سيتم السفر إليها.

3- على الإعلام التوقف عن الترويج للنموذج الغربي بكل قيمه الأخلاقية, فكيف تتحول "مغنيات الهبوط" إلى قدوة لفتياتنا؟ كما أننا نرى المذيعات في بعض المحطات الفضائية بغير الاحتشام المطلوب, فعلى كل المؤسسات أن تقنن الحرية داخلها حتى نعود للاعتدال, لأنه الوسيلة الوحيدة لحياة كريمة ومحترمة.

4- كما أننا نفتقد لبيوت أزياء واعية باحتياجات الشباب تستطيع أن تعادل بين احتياجات الشباب والموضة والتقاليد وتطوعها حسب ظروف العصر, فنحن في اشد الحاجة إلى مؤسسة كبرى تدرس مطالب الشباب وتصنع لهم ما يرغبون في ارتداءه وبما يتناسب مع حضارتهم وهويتهم.

5- الاهتمام داخل الأسرة بحماية الأخلاق, فجب على الأب أن يعود لدوره الأصلي في قوامة جميع أفراد أسرته, وذلك أن دور الأب انحصر في الآونة الأخيرة دور " الممول" المتمثل في مجرد جلب المال للأسرة, وترك جميع مقدرات الأسرة تدار بعيداً عنه.

6- معرفة أهداف أعدائنا ومخططاتهم والعمل على التصدي لها, ذلك أن معرفة أن كل ما يحدث من حولنا هو بتخطيط واع وتدبير مدروس من القوى الغربية والصهيونية التي لا تريد لراية الإسلام أن ترتفع أبدا, إن معرفة ذلك والوعي به يضعنا جميعاً أمام الطريق الصحيح للعلاج.

المبحث الثاني: فهم الهدف من محاربة العربية.

لا ريب أن الهدف هو تحويل التراث الضخم للأمة وفي مقدمته القرآن والسنة والشريعة إلى شيء تاريخي صرف لا يمكن معرفته إلا بواسطة المعاجم اللغوية وذلك؛ لأن الأفكار العربية إذا تنازلت عن لغتها الفصيحة ولجأت إلى العامية وكتبت باللاتينية, فإنها ستكون عاجزة عن فهم القرآن والوقوف على مضامينه, وبعبارة أخرى أن العامية لو انتشرت وحلت محل الفصيحة, ستصبح لغة القرآن (الفصيحة) بمرور الزمن غريبة على المسلمين العرب, وبالتالي سينزوي القرآن وينحصر الإسلام تدريجياً وهو ما يهدف إليه الاستعمار الفكري والسياسي, فالهدف النهائي إذاً تغريب المسلمين؛ أي حملهم على قبول الذهنية الغربية فالتغريب يرى في بقاء اللغة العربية بقاءً للإسلام وترسيخاً للمبادئ الإلهية المناهضة لكل لون من ألوان الاستبداد والاحتواء والمصادرة, ودعماً لوحدة الأفكار هذه الوحدة التي تتحطم على صخرتها المؤامرات الفكرية والحضارية والسياسية كافة(17)

إن الهدف من تلك الدعوات التي آزر الغرب الصليبي أعداء الإسلام من داخل البلاد الأخرى هو كسر شوكة الإسلام وضرب طوق حول القرآن وتحويله في أحسن الأحوال إلى مجرد آيات تتلى في زوايا المسجد والمناسبات الدينية شأنه شأن الكتب السماوية, والقضاء على الخاصية كونه دستوراً للحياة ونهجاً للبشرية ونظاماً عالمياً حياً لا يتغير منه الأيام والظروف والحوادث, ومن أجل ذلك تكاتف أعداء الإسلام– كما أشرنا– لصد الأفكار الأخرى عن العربية وصرف العرب عن الفصحى, وتغذية اللهجات المحلية وتشجيعها وتضخيمها, والدعوة لتكون لغات للعمل والأدب والحياة اليومية, والكتابة بالحروف اللاتينية أو بأي حروف جديدة أخرى لا تشابه الحروف العربية(18)

لقد بقيت العربية الفصيحة اللغة العامية المشتركة, وكانت هناك رقابة شديدة وصارمة لحمايتها, ولكنها لم تتوقف لحظة عن الحركة والنمور في عصور نهضتها, ولم تجد عند قديمها معاندة للتطور, بل استجابة لدواعي الحياة, فكانت لسان الأمة في الدول الإسلامية الكبرى من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب, ولغة فكرها الحي الناضج, وكتاب علومها الأصلية والمستحدثة, وأداة اتصالها بقديم التراث الإنساني كما كانت أداة اتصال العرب بالحضارة الإسلامية التي استوعبت ثمار العلوم والمعارف من أقدم العصور إلى فجر عصر النهضة والإحياء, ولو صح ما يقال عن جمودها لاضمحلت وماتت بحكم قوانين الحياة وسنن الاجتماع اللغوي.

إن العربية قد صمدت في كافة الغزوات الموجهة اليها, والسر في صمودها هو القرآن الكريم الذي التحمت به التحاماً وثيقاً منذ نزوله بها, وقد أحدث القرآن معجزة أخرى تضاف لسلسلة معجزاته وهي أن العربي يستطيع أن يقرأ تراث القرون الماضية, وأن يتحدث مع الناس دون صعوبة, وأشار الباحثون إلى ما تتميز به اللغة العربية من ثبات عجيب لا مثيل له.

وإذا كان القرآن– كما أسلفنا– هو الذي قوى عناصر الصمود في العربية وحفظها من الموت والاندثار, إلا أن هذا لا يعني أن لم تكن في ذاتها صالحة للبقاء ,بل إن تحمل أيضاً عناصر القوة والديمومة والرقي, ولم تجد طوال حياتها أدنى صعوبة في اكتساب اللغات الأجنبية التي فرضت على المجال الرسمي, وفي مصر حيث استغرقت عهود السيطرة الأجنبية أكثر من ألف و مئة عام قبل الفتح الإسلامي, لم تجد الجهود التي بذلها الغزاة على ذلك المدى الطويل بفرض لغاتهم وثقافاتهم عليها(19)

إن العربية الفصيحة تحتل بحسب صفاتها الذاتية واستناداً إلى المقارنات الموضوعية بينها وبين سائر اللغات أرقى درجة من درجات الكمال التي تحتلها اللغات المنتشرة في العالم, وتحتل المرتبة الأولى بلا منازع بين اللغات الاشتقاقية التي تمثل أرقى مجموعة لغوية في عالم اليوم ,و تتميز العربية بسعتها وكثرة مفرداتها, وهذا يجعلها أكثر تلبية لحاجة المتكلمين, لا ترقى إليها لغة في ثرائها وكثرة مفرداتها .

وقديماً قيل إذا ذل العرب ذل الإسلام والمقصود بالعرب هنا هو اللسان وليس الجنس العربي فمن تكلم العربية فهو عربي, فعلينا أن ننظر ونتدبر ما لدينا من مفردات لغوية مصدرها القرآن والسنة ونعود إلى استخدامها لعلها تكون إحدى العوامل الرئيسة لنهضة امتنا من سباتها العميق الذي يكاد يذهب بها وحتى لا ينطبق علينا إلى حد ما انطبق على بني إسرائيل من قبل وهو مثال ينطبق على كل من يفعل هذا

الفعل كائنا من كان و أينما كان, قال تعالى ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (سورة الجمعة:آية:5) ولغتنا عريقة وأصيلة و واسعة تستوعب كل الأسماء والمستجدات العصرية فهي لغة متطورة وليس جامدة.(20).

التحديات التي واجهتها اللغة العربية. فإننا نلخصها بالتالي:

- استبدال الفصيحة بالعامية.
- إلغاء الحرف العربي والكتابة بالحرف اللاتيني.
- المناداة باللغة الوسطى، والهدف من هذه الدعوة هو تمييع اللغة.
- المناداة بتطوير اللغة، وهو مصطلح فيه من التلبيس ما يظهر للعيان، لأن اللغة نزلت من فوق سبع سماوات جاهزةً متطورة، وإنما المقصود بالتطوير هنا التزوير والتحريف.
- إن لغة المستعمر أصبحت لغة الشعوب في هذه البلاد.
- أصبحت اللغةُ العربيةُ لغةَ التعليم الجامعي.
- تحجيم الفصيحة حتى تقترب من العامية.
- الهجوم على الحروف العربية والدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية.
- إسقاط الإعراب في الكتابة والنطق.
- الدعوة إلى إغراق العربية في سيل من الألفاظ الأجنبية.
- محاولة تطبيق مناهج اللغات الأوروبية على اللغة العربية ودراسة اللهجات والعامية.

المبحث الثالث: مواجهة التحديات التي تواجه اللغة العربية الفصيحة

قبل الدخول في المواجهة علينا أن نشخص الأمراض التي نعاني منها على المستوى اللغوي فالتشخيص نصف العلاج.

إن التردي في عصور الانحطاط كان عاملاً من عوامل من ضعفنا اللغوي, وهذا التردي لم يكن مقصوراً على العامة من الناس ,بل شمل العلماء والفقهاء حتى كان يعجز الكثير منهم عن كتابة رسالة خالية من العجمة, بريئة من الركاكة أو العامية, سليمة من الخطأ, وكانت دروس الفقه والدين, بل دروس النحو والبلاغة تلقى بلغة مشوبة بالعامية منحطة عن الفصيحة, أما أساليب العربية الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنها كل البعد, وكل ما تصبوا إليه النفوس وترتفع إليه المطامح أن يقلد الكاتب أسلوب الحريري في مقاماته أو القاضي الفاضل في رسائله ومكاتباته (25).

إن المطلوب تكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا السياسي والفكري, بل هو الأساس لتكوين تفكيرنا تكويناً صحيحاً, والأخذ بأيدينا نحو الوحدة اللغوية, والتحرر اللغوي والقضاء على التجزئة والشعوبية أو النفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر. أن التعليم الجامعي خاصة في كثير من أقطار العروبة ما زال باللغات الأجنبية؛ فهو إنجليزي في أقطار, وفرنسي في أقطار, ولا توجد صيدلة عربية ولا طب عربي. ومازال هناك إلى الآن من يجادل لإبقاء تدريس العلوم باللغات الأجنبية, ثم إن كثيراً من دعاة العروبة لا يحسنون لغتهم, وهذا ما دفع أحد المفكرين إلى القول بان هناك إهانة توجه إلى العربية, تتجلى هذه الإهانة في ثلاثة أمور:

1- السيل من الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات والأغاني باللغة العامية.

2- بعض الزعماء يخلط العربية بالعامية, وهم مولعون بخفض المرفوع وجر المنصوب.

3- تقليد المنتصر.

4- الادّعاء بأن اللغة العربية الفصيحة غير مفهومة في عصرنا فيميل من لهم مصالح إلى اللغة العامية وترادياتها.

وإذا نظرنا إلى ما فعل أصحاب اللغات الأخرى لخدمة لغاتهم لوجدنا أنفسنا مقصرين كثيراً.

تمتاز هذه اللغة بمنزلة كبيرة, وتتمتع بخصائص, منحتها القدرة على الصمود أمام التحديات, حية قوية, وبعض هذه الميزات تنبع من إمكاناتها الذاتية التي وهبها الله _تعالى_ من خلال مراحل تاريخها ونموها ما هو نعمة من الله عليها, وعلى المسلمين, وعلى الناس كافة, حين اختارها لغة رسالته إلى عباده, ولغة دينه وكتابه, وتعهد بحفظ دينه وقرآنه وسنة نبيه(30).

ونزل الوحي من عند الله باللغة العربية, لتستقر بها قواعد الإسلام وآيات الكتاب المجيد, وأحاديث الرسول ,صلى الله عليه وسلم, وجاء القرآن الكريم ليبين منزلة اللغة العربية في الإسلام, ويبين أن اللغة العربية من خصائص منهاج الله وأنها منه: كما قال تعالى ((**الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**)) (**يوسف 1**)

تواجه هذه اللغة خطراً يتهددها, ويهدف إلى إضعافها من خلال نشر لغات قومية وتغذيتها, وعزلها في معظم ديار المسلمين, واللجوء إلى ترويج الدعايات لتغيير حروف اللغة العربية, وتغيير قواعدها وأسس بيانها وبلاغتها,. والأخطر من ذلك: إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وعن سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)؛ لأن غياب اللغة العربية, أو ضعفها يضعف صلة الإنسان بمنهاج الله _تعالى_ وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقي من منهاج الله _تعالى_, وإذا ضعف هذا التلقي ضعف الإيمان والتوحيد وبالتالي, يرتبط هذا الخطر بقضية مصيرية في حياة الإنسان, إنها قضية الإيمان والتوحيد, وتلقي رسالة الإسلام قرآناً وسنة تلقياً أميناً دقيقا (37)، وأي تنازل عن اللغة العربية إنما هو التنازل الذي يؤدي إلى هجران الكتاب والسنة, والتنازل عن الدين والمبادئ وعن البلاد.

لذا فإنه من الواجب على كل مسلم أن يسعى لدراسة اللغة العربية, وإتقانها في حدود وسعة وطاقته, حتى يحسن تلاوة القرآن ويتسنى له فهمه وتدبره, فالقرآن أنزل بلسان عربي مبين.

وكذلك يمكن القول إن مسؤولية مجامع اللغة العربية وأقسام العربية في جامعاتنا جدٌّ عظيمة في الدفاع عن لغة القرآن.

إن الواجب تعريب المصطلحات والمفردات قبل دخولها؛ ليتعرف الناس على المسمى العربي قبل غزو المفردة الأجنبية، وهذا واجب كل فرد قادر على التعريب وإتقان أوزان العربية، وليس بحاجة للانتظار حتى يجتمع أعضاء المجمع بدورتهم شبه السنوية حتى يقرروا عربية اللفظة أو أجنبيتها، فتكون ملايين الألفاظ الأجنبية قد غزت مدنَنا وشوارعَنا وبيوتَنا وأصبحت على ألسنة أبنائنا. فليتنبهْ كل فرد

من اليوم إلى هذه المسألة الخطيرة حتى يعفينا الله من شرها، ولنحفظ للغة –نحن أبناءها– عزَّها وشرفَها وفخرَها بينَ اللغاتِ كيف لا؟ وهي لغة القرآن العظيم ونزلت على الأرض بواسطة الوحي.

أما مسؤولية الدعوة الأخرى والدعاة (38), وعلماء المسلمين, وأولي الأمة منهم فتكمن في وضع المنهج والخطة لمعالجة الواقع الحالي, وإعادة اللغة العربية إلى منزلتها وهذا المنهج يظل قابلاً للنمو والتطور كلما صدقت النية والعزيمة, ومن ملامح هذا المنهج:

- اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله تعالى.
- جعل اللغة العربية الأولى في العالم الإسلامي أثناء المؤتمرات والمحاضرات والندوات ولو كانت في تخصصات تجريبية أو صناعية أو تجارية أو غيرها.

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث:

1- صمام الأمان للشعوب العربية وفكرها وثقافتها هو اللغة العربية الفصيحة.

2- تتعرض اللغة العربية في هذا العصر (عصر العولمة) وهيمنة الأقوى، لحرب تستهدف وجودها، وتمييعها وتشويهها بحيث ينفر منها أبنائها.

3- تغيب اللغة العربية عن ساحة الإعلام والفكر والثقافة بشكل ملحوظ لأسباب متعددة تم بيانها في البحث منها وسائل الإعلام وضعف معلمي اللغة انفسهم والتأثر باللغة الأجنبية، وضعف مناهج النحو، وإسناد تدريس النحو إلى أساتذة غير متخصصين، وعدم إعطاء مادة النحو قدراً كافياً منم الحصص في المدارس والمحاضرات في الجامعات، وتفضيل المواد العلمية على المواد اللغوية، وتفشي العامية في المجتمع.

4- لا بد من أن تستعيد اللغة العربية دورها الريادي في نهضة الأمة وفكرها ووحدتها، وذلك بأن يدرك المسؤولون في الدولة خطورة ما تتعرض له اللغة العربية، وأن يكون في سلم أولويات وزارة التعليم والإعلام والثقافة خطة مدروسة لنشر وتسهيل اللغة العربية الفصيحة بين أفراد المجتمع.

التوصيات:

1- ضرورة تجسيد مبدأ أن اللغة العربية ثابت من الثوابت الوطنية، والتحلي بروح التفاني والإخلاص في خدمتها.

2- ضرورة تنصيب المراجعين والمصححين والمدققين اللغويين على مستوى المؤسسات الإعلامية كافة.

3- إحداث جائزة وطنية سنوية لأحسن أسلوب صحفي باللغة العربية.

4- إصدار جائزة سنوية لأحسن مؤسسة إعلامية تحترم سلامة اللغة العربية.

5- استجابة لمقتضيات العصر، لابد من إدراج مادة الترجمة في معاهد الإعلام.

6- تحويل الخطابات التي بالعامية إلى العربية الفصيحة، بقدر الإمكان، في الصحف.

7- تدبر الأسلوب القرآني، والعمل على ترويج استخدام الألفاظ الواردة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتراث عمومًا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

8- تخصيص جانبٍ من الإذاعات والفضائيات لتعليم النحو تعليماً عملياً تطبيقياً لا نظرياً، حتى يحملَه المتعلم على أجنحته أينما حلَّ وارتحلَ، لا أنْ يدرسَه فقط لتأدية الاختبار ثمَّ ينساه ويتركَه.

9- يجب أن تحرص الجامعات المتميزة في تدريس اللغة العربية على تعيين أساتذة متخصصين أكفاء لتدريس مادة النحو لتكونَ شاملةً، ويكونُ لدى هؤلاء من الزاد اللغوي والأدبي ما يُشوِّقُ الطلبة إلى فهم النحو فهماً عملياً.

10- ضرورة أن تقومَ الأجهزة الإعلامية بدورها خير قيامٍ، لا أن تترك المجال للكلمات الفضفاضة والمغلوطة، وغير المفهومة أن تأخذَ مجالها في الفضاء يتلقفها من يحاربون اللغة ويجسّدونها بين الناس لحرب اللغة العربية العظيمة.

11- عقد دورات لتعليم النحو العربي في المساجد والجامعات والأماكن العامة بما يسمى التعليم غير المنهجي بدلاً من المسابقات والترفيهيات، وتعويد أبناء الأمة الإسلامية على ارتياد هذه النشاطات.

12- ضرورة حرص المناهج على إبراز النحو العربي بصورةٍ أوضحَ وأبهج، لتقريبها إلى الأذهان وإبعاد الفكرة الخطيرة التي تتحدث عن صعوبة النحو.

13- أن تلتزم مديريات المناهج على المتابعة الجادة لمدرسي مباحث النحو، وتكثيف الدورات والحرص على أن يكون العملُ جاداً في المدارس والجامعات في تقريب فكرة النحو إلى الأذهان.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أحمد بهلول (1992): تقويم الصياغة اللغوية لأسئلة اللغة العربية، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد (18).

2- إبراهيم،عبد العليم: الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، القاهرة: دار المعارف/1975.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 10مج/ بيرون 1966.

6- جبر، يحيى، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة،ط1،نابلس، جامع النجاح الوطنية.

7- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ:: ط2، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية .1963

8- تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية، ط: القاهرة،مكتبة الآداب، 1956.

9- الباكير، مجد محمد: مشكلات اللغة العربية المعاصرة، ط، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، 1989

10- أو حويج،مروان:المناهج التربوية الحديثة: ط: عمان، الدرا العلمية الدولية 2000.

11- جواد، عبد الستار: اللغة الإعلامية، إربد:

11- الأوراغي (محمد): التعدد اللغوي: انعكاساتُه على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب - بالرباط .2002.

12-برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003م، منشورات برنامج - الأمم المتحدة الإنمائي.

بشر (كمال): اللغة العربية بين العَوْرَبة والعولمة، منشور بموقع - salnozaili.jeeran.com

13.-التويجري (عبد العزيز بن عثمان): مستقبل اللغة العربية، منشورات الإيسيسكو، الرباط، 2004م -

14-جندار (إدريس): في نقد التوظيف العرقي لخدمة الأجندة الفرنكفونية . الصهيونية، منشور بموقع - (لكم) بتاريخ1/10/ 2011.

15-عبد الحي(محمد): اللغة العربية بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي، مركز الجزيرة للدراسات. - 16

17-عبد السلام (أحمد): العولمة والثقافة اللغوية وتبعاتها اللغوية، منشور بموقع مجمع اللغة العربية - الأردني (2009).

18-.عتيق (عمر عبد الهادي): اللغة العربية والعولمة. مقال منشور بموقع: شبكة الفصيح -

.مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام) asbar.com :
19–علي (نبيل): الثقافة العربية وعصر العولمة،عالم المعرفة الكويت رقم 276 ط2 دجنبر 2001 -
.((ط1 2000
.20–كولماس (فلوريان): اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، سلسلة: عالم المعرفة، الكويت 2000 -
21–مجموعة مؤلفين: اللغة العربية: أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، منشورات: مركز دراسات الوحدة -
.العربية بيروت 2005
.22–مجموعة مؤلفين: لغتنا العربية في خطر، منشورات جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة، 2000 -
.23–المسدي (عبد السلام): العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2011م -
24 المقالح (عبد العزيز): واقع البحث العلمي في الجامعات العربية، منشور بموقع -
aljazeera.net
25– النقاش(رجاء): هل تنتحر العربية؟، مصر 2010م.ط2
26–هونكه (زيغريد): شمس العرب تسطع على الغرب، دار صادر بيروت ط2000/9م -
:(الودغيري (عبد العلي -
27 - العربية في مراحل الضعف والتبعية، مجلة (اللسان العربي) ع67/ 2011م -
28–الدعوة إلى الدارجة بالمغرب: الجذور والامتدادات، الأهداف والمسوِّغات، مجلة التاريخ العربي -
.بالرباط ع2011/56م
.(29–اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي (منشورات كلية الآداب . الرباط 2011م) -
. 30:elyahyahaoui.org/arabe– اليحياوي (يحيى): هل اللغة العربية لغة معرفة وتكنولوجيا. موقع -

31– اليونسكو (منظمة اليونسكو): حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، تقرير أعده فريق خبراء اليونسكو -
.(الخاص المعنى باللغات المهددة بالاندثار
32– خالد الكركي ، دراسة بعنوان (الثقافة القومية والدينية :صراع أم حوار)، جريدة الرأي
الأردنية،طبعة2007.

33– خالد عربيدات ، دراسة بعنوان (دراسة في الفكر العربي) ، جريدة الرأي الأردنية ،2007طبعة.

34– عبد الرحمن حمادي ،دراسة بعنوان(صورة المسلمين في السينما العالمية)، مجلة البيان ،
العدد171، الكويت ،طبعة 1997 .

35 –عبد الرشيد عبد الحافظ ، دراسة بعنوان (الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل
مواجهتها) ، مكتبه مد بولي ،طبعة 2005.

36- عبد الصبور شاهين،محاضرة له بعنوان(التحديات التي تواجه لغتنا الجميلة)،الخميس2006/9/9.

37- سليم علي جواد ؛مقال بعنوان (نحن والآخر) ، مجلة الراية ، العدد 203 ، بيروت ،طبعة.1988 .

38- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسله عالم المعرفة، الكويت، طبعة2001.